الفصل الأول

اليهود فى مصر

- البداية التاريخية
- الدور الاقتصادى لليهود
- المشاركة السياسية
- النشاط الثقافى

obeikandl.com

obeikandl.com

البداية التاريخية

أجمعت المصادر التاريخية المختلفة على أن علاقة اليهود بمصر ترجع إلى سنة ١٦٥٠ قبل الميلاد حينما هاجر يعقوب وأولاده إليها ثم استقر بعضهم فى منطقة الفيوم بعد خروج النبى موسى من مصر ١٣٠٠ ق.م ولكن أهم جماعة يهودية جاءت إلى مصر كانت تلك الطائفة التى استقرت بالإسكندرية بعد فتح الإسكندر لفلسطين ٣٢٢ ق.م هذا وقد تعرض اليهود فى مصر لتقلبات عديدة حتى كان الفتح العربى لمصر الذى حمل لليهود ازدهاراً واستقراراً كانوا قد حرموا منه منذ أمد طويل، وكذلك كان تأثير الفتح العثمانى لمصر ١٥١٧ حيث تمتع كثير من اليهود بنظام الامتيازات ورفضوا حماية الدول الأوروبية على الجنسية العثمانية. وقد شهد القرن التاسع عشر ازدهاراً وتطوراً للطائفة اليهودية، تمثل فى قدوم أعداد كبيرة من يهود أوروبا إلى مصر، حيث وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية فرصاً كثيرة للعمل فى الميادين المالية والتجارية والمشاريع الخاصة ووظائف الدولة مما أدى إلى اتساع حجم الطائفة وزيادة عددها، فساعدها ذلك على التوسع فى بناء مدارسها ومستشفياتها ومعابدها ومؤسساتها الخيرية. وقد استمرت أسرة محمد على فى انتهاج سياسة فتح أبواب مصر أمام الأجانب، تلك السياسة التى اطردت مع قدوم الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢ حيث فتحت البلاد أكثر للأجانب ومنهم اليهود الأوروبيون الذين جاءوا إلى مصر بحثاً عن الثورة أو العمل أو هرباً من الاضطهاد فوجدوا فيها الأمان والاستقرار الدينى والمادى ولاقوا من السلطات المصرية كل رعاية وتشجيع، ونلاحظ عدم اتفاق المصادر التاريخية على أعداد اليهود

الذين أقاموا بمصر على امتداد العصور المختلفة. ويرجع ذلك إلى تعدد الهجرات اليهودية التى قدمت إلى مصر من أوروبا ومن العالم العربى ولكن هناك شبه إجماع من جانب بعض المؤرخين اليهود بأن عدد اليهود فى مصر لم يزد عن ٢٥ ألفا فى بداية القرن العشرين.

وطبقاً للإحصاء الرسمى للسكان ١٩٤٧ بلغ عدد اليهود فى مصر حوالى ٦٤,٤٨٤ فردا كان يتركز معظمهم فى القاهرة ٣٦,١٥٥ وفى الإسكندرية ٢٥,١٨٣ أما الباقون منهم فقد انتشروا فى منطقة القنال والدلتا، وكان هناك ٥ آلاف يهودى فقط يحملون الجنسية المصرية، وحوالى ٣٠ ألفاً يحملون الجنسية الاجنبية والآخرون لا جنسية لهم[١].

ومن اليسير فهم سبب حصول الكثيرين من اليهود على الجنسية الأجنبية وذلك للاستفادة بنظام الامتيازات الذى كان يعفيهم من الخضوع للسلطات المصرية ويؤمن لهم حماية القناصل الأجانب إلى جانب حقوق أخرى استثنائية.

الخريطة الاجتماعية والطائفية لليهود فى مصر[٢]

على المستوى الاجتماعى والطبقى كان اليهود فى مصر ينقسمون إلى ثلاث شرائح أساسية: الشريحة العليا، وتتكون من مجموعة العائلات الأرستقراطية الثرية التى تجمعت لديها وسائل الثروة والجاه والمكانة الاجتماعية، ومن أبرز الأسماء التى يمكن الإشارة إليها فى هذا المجال قطاوى وسوارس وموصيرى ورولو ومنشه وهرارى ووهبه وشيوكوريل

(١) انظر:

- fargeon Maurice, les juifs en Egypte cepuis les origines juequ a ce iour le caire 1938, pp. 160, 168.

- levin, N.. cinquante ans d'histoire, Vol 11. le Caire, 1913 p- 31.

(٢) د إبراهيم عبده وخيرية قاسمية ـ يهود البلاد العربي ـ بيروت ـ م. أ. ف ـ ١٩٧١ ص ١٦٢ .

وغيرهم من أصحاب البنوك والأعمال التجارية وملاك الأراضى، ويلى هؤلاء الشريحة الاجتماعية الثانية التى تضم فئة رجال الأعمال البارزين فى مجالات التصدير والاستيراد وتجارة القطن والصيرفة والبورصة وعدداً ضخماً من الموظفين اليهود فى مختلف المؤسسات والمشروعات الخاصة والحكومية، وقد تمكنت هذه الشريحة من انتزاع كثير من المواقع الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تحتكرها الشريحة الأولى التى تمثل قدامى الأرستقراطيين اليهود وقد تميزت حياة هاتين الشريحتين ببعض السمات الاجتماعية تمثلت فى عاداتهم وملابسهم وأسلوب حياتهم واللغة التى يستخدمونها فى معاملاتهم وهى اللغة الفرنسية بالتحديد، مما حدد انتماءهم بشكل نهائى للثقافة الغربية وساعد على انفصالهم تماماً اجتماعياً وثقافياً عن المجتمع المصرى ككل من ناحية وعن أبناء طائفتهم من اليهود المستوطنين الأصليين فى مصر من ناحية أخرى، وقد بدأ هذا الاتجاه فى الظهور مع تدفق الجماعات اليهودية من أوروبا فى نهاية القرن التاسع عشر وأصبح هو الاتجاه السائد فيما بعد، وقد كان لذلك نتائجه الخطيرة على الوضع القومى لليهود المصريين، إذ أن أكثر من نصف يهود مصر كان يحمل جنسية أجنبية ولا يهتم بمشاكل البلد الثقافية والاجتماعية والسياسية(١).

وتحتل الشريحة الثالثة من اليهود قاع السلم الاجتماعى بالنسبة للطائفة من الناحية الطبقية، وهى تشمل صغار الحرفيين والباعة الجائلين وفقراء اليهود الذين يعتمدون على الإعانات بشكل أساسى، ومما يثير الانتباه أن هذه الشريحة تضم اليهود المصريين بالمولد والجنسية على عكس الشريحتين الأخريتين اللتين تتكونان فى الغالب من اليهود الأجانب أو المنحدرين من

(1) Andre, J: Death of acommunity, Egypt's Vanishing jewyy - world of jewry, london April 1968, p. 28.

أصول أجنبية، ومما يجدر ذكره أن الشريحة الأخيرة من اليهود المصريين هى الأكثر التصاقاً بالواقع الاجتماعى المصرى، إذ أن غالبيتهم كانوا يقطنون الأحياء الشعبية فى القاهرة «العباسية وحى الموسكى وحارة اليهود بالذات» ويتحدثون اللغة العربية ويقيمون علاقات صداقة مع جيرانهم من المسلمين والمسيحيين. وكانت مؤسسات الطائفة تتولى إعالة اليهود الفقراء الذين لم يزد عددهم عن أربعة آلاف يهودى فى جميع الأحوال.

أما التقسيم الطائفى لليهود الذين كانوا يتركزون فى القاهرة والإسكندرية فقد كان ينحصر فى وجود طائفتين رئيسيتين طائفة اليهود الحاخامية وكانت تضم أغلبية اليهود فى مصر وقد تمتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة أما الطائفة الثانية فقد كانت تضم اليهود القراتين وكان عددهم محدوداً جداً. وفيما يتعلق بالطائفة الأولى «الحاخامية» فقد كانت تنقسم أيضاً إلى طائفتين إحداهما فى القاهرة والثانية فى الإسكندرية، وكان لكل منهما حاخامها ومجلسها العام المنتخب. وتميزت الطائفة الحاخامية المقيمة بالقاهرة بوجود طائفتين بداخلها طائفة اليهود السفارديم «اليهود الشرقيين» وطائفة اليهود الأشكنازيم «اليهود الغربيين».

هذا وقد كان للطائفة اليهودية بمصر مجلسها المحلى المتخصص بمعالجة الأحوال الشخصية لليهود كالزواج والطلاق والميراث وفقاً لتقاليد وطقوس الديانة اليهودية وذلك طبقاً للنظام الملى الذى أنشئ فى العهد العثمانى والذى حدد للوظائف الدينية حقوقها والتزاماتها.

وقد نص الدستور المصرى ١٩٢٣ على ضمانات جديدة للطوائف والأقليات استفادت منها الطائفة اليهودية إلى مدى بعيد، وخصوصاً ما أقره الدستور لهم فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين، ومنحه حرية العقيدة والرأى

والصحافة والتعليم وحق استخدام أى لغة فيها كما كفل لهم تسيير أمورهم الشخصية طبقاً لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين(١).

وترتيباً على ذلك أحرز اليهود نجاحات ملموسة فى مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمانية فمن الناحية الدينية استفاد اليهود المصريون من المساندة الرسمية التى تمثلت فى تزويد الحكومة المصرية لهم بكل أشكال المساعدة لبناء معابدهم وإقامة محافلهم مثل تيسيرات البناء ومنحهم الأراضى مجاناً مما ساعد على انتشار المعابد اليهودية فى القاهرة والإسكندرية ومختلف المدن المصرية التى كان يقطن بها أبناء الطائفة. وقد بلغ عدد المعابد اليهودية فى النصف الأول من القرن العشرين حوالى ٢٩ معبداً فى القاهرة وعشرين معبداً فى الإسكندرية.

وقد استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة فأنشأت عدداً من المدارس بدأها الأشكنازيم ١٨٩٥، وكانت برامج المدارس اليهودية أوروبية خالصة ولغة التعليم الأساسية الفرنسية وكانت الإنجليزية موضوعاً إجباريا. ولذلك كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون العربية جيداً، كما عنيت الطائفة بالتعليم الدينى وبث المفاهيم الدينية فى البرامج الدراسية وذلك كى يتسنى للطائفة تشكيل اتجاهات أبنائها وضمان ولائهم لطائفتهم ودينهم فى المقام الأول.

وقد أبدى زعماء الطائفة اليهودية اهتماماً ملحوظاً بالأنشطة الرياضية فأسسوا فى الإسكندرية جمعية المكابى الرياضية وفى القاهرة أنشأوا نادى المكابى الرياضى(٢).

(1) H. Aurani A: Minorities in the Arab World London 1947, pp 41 - 42.

(٢) انظر: أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف: اليهود والحركة الصهيونية في مصر ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٦٩ ـ ص ٣٥ ـ ٣٨ .

Fargean, op. cit, pp. 180 - 182.

- Andre: op. cit, p. 16.

الدور الاقتصادى لليهود
فى مصر

لقد ساعدت الظروف الذاتية والموضوعية لكل من المجتمع المصرى والطائفة اليهودية منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر على أن يحتل اليهود مع سائر الأجانب مكانة كبيرة فى تشكيل الواقع الاقتصادى فى مصر، فقد أسهم اليهود فى مختلف مجالات النشاط الاقتصادى حيث شمل نشاطهم إنشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين، كما أنشأوا عدداً من شركات الأراضى الزراعية التى تعمل على امتلاك الأرضى واستغلالها والمضاربة فيها وتمويل المشاريع العقارية والصناعية، واستطاعت بضعة عائلات يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة فى توجيه الاقتصاد المصرى وتمويله وتطويره. وقد بلغت سيطرة اليهود على مجالات العمل الاقتصادى فى التجارة والصناعة والمصارف حدّاً بلع أن الرأسماليين اليهود كانوا يساهمون فى إدارة وتوجيه حوالى ٩٥٪ من الشركات المصرية ويسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها بالإضافة إلى مصالحهم وإسهاماتهم فى البنوك والمشاريع الأخرى(١).

وتعتبر المجالات المالية وأعمال الصيرفة من أبرز الميادين الاقتصادية التى برز فيها اليهود كمؤسسين ومديرين ومساهمين، ويرجع نشاط اليهود فى هذه المجالات إلى عهد الخديو إسماعيل، حيث كانوا يديرون بنوك

(١) انظر:

- أحمد غنيم وأبو كف - مصدر سابق ص ٢٧ .

- مجلة المصور ١٧ - ٣ - ١٩٤٩ وعلى إبراهيم عبده وخيرية قاسمية - مصدر سابق ص ١٦٦ .

الرهون وبنوك التسليف، وأسهموا فى إنشاء البنوك والشركات الائتمانية التى تتولى عمليات الخصم والعمولة وتقديم القروض مقابل التأمينات وبيع وشراء الأوراق المالية والسندات وتمويل المشروعات الصناعية والتجارية وإنشاء شركات التأمين التجارية، ومن أهم تلك البنوك البنك العقارى المصرى والبنك التجارى المصرى وبنك موصيرى وبنك سوارس والبنك الزراعى وشركة التأمين الأهلية وشركة الإسكندرية للتأمين.

ومن ناحية أخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضى بمقتضى القانون الصادر فى ١٨٥٨ الذى كان يسمح للأجانب بامتلاك الأراضى وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضى منها شركة البحيرة المساهمة وشركة وادى كوم امبو وشركة أراضى الدلتا المصرية وشركة لتجفيف الأراضى فى الإسكندرية(١).

وقد قامت الشركات بالمضاربة فى هذه الأراضى أو تقسيمها وبيعها لأغراض البناء، علاوة على الشركات الأخرى التى أسسوها للأغراض العقارية مثل الشركة العقارية المالية بالقاهرة والشركة المساهمة المصرية المالية والعقارية. وساهم اليهود أيضاً فى امتلاك وإدارة عدد كبير من شركات النقل والمواصلات مثل شركة الأمنبوس العمومية وشركة ترام الإسكندرية وشركة سكك حديد قنا ـ أسوان وشركة بواخر البوستة الخديوية هذا إلى جانب النشاطات الفردية التى قام بها اليهود فى سوق الأوراق المالية «البورصة» وقد كان يشكل اليهود نسبة ٩٨٪ من العاملين فيها.

وفى مجالات الصناعة الخفيفة كان لليهود دورهم البارز فى إنشاء كثير من الشركات مثل شركة المطاحن والملح والصودا والموبيليا والخردوات والمعادن والثلج.

(1) Landau M. Jacob: Jews in 19th Century Egypt, London univ of London Press 1969. p 12 - 13.

أما المجال التجارى فقد سيطروا تقريباً على تجارة المنسوجات والقطن والذهب. وقد جاء فى التقرير السنوى للمندوب السامى البريطانى فى مصر ١٩٠٥ أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة وتجارة القطن المصرى كانت فى أيدى اليهود.

وحتى فى مجال السياحة والترفيه احتكر اليهود معظم صناعة العاديات والفنادق والكازينوهات والملاهى.

ولم يؤثر فى تلك المكانة المتميزة التى كان يشغلها اليهود فى الاقتصاد المصرى سوى توقيع معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من صدور عدة تشريعات قانونية كانت تهدف إلى مضاعفة إشراف الحكومة المصرية على الشركات والمشاريع الأجنبية وزيادة عدد المصريين العاملين فيها.

وكان من أهم هذه التشريعات قانون الشركات «١٣٨ ـ يوليو ١٩٤٧» الذى كان ينص على أن يكون ٧٥٪ من الموظفين و٩٠٪ من العمال اليدويين فى جميع المؤسسات فى مصر «سواء كانت وطنية أم أجنبية» من ذوى الجنسية المصرية. وقد تأثرت أوضاع اليهود الاقتصادية إلى حد ما بسبب هذه التطورات وخصوصاً أن غالبيتهم كانوا من الأجانب أو بلا جنسية، وإن كانوا قد تحايلوا على هذه القانونين وتمكنوا من الاحتفاظ بمكانتهم الاقتصادية، لكن بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وبسبب إجراءات التمصير والتأميم التى اتخذتها الثورة بدأ اليهود ينسحبون من الميدان الاقتصادى وأخذوا فى تصفية أملاكهم وأعمالهم والهجرة إلى خارج مصر.

(1) Landau: op. cit p. 13.

انظر علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٧ ـ ١٩٨ .

المشاركة السياسية لليهود فى مصر

لقد اقتصرت المشاركة اليهودية فى الحياة السياسة المصرية على بعض الأدوار الفردية التى برز من خلالها بعض الشخصيات اليهودية التى انضمت إلى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى، وقد يبدو ذلك متناقضاً مع الدور الخطير الذى لعبه اليهود فى الحياة الاقتصادية المصرية ولكن ضآلة الدور السياسى الذى قاموا به كطائفة يرجع فى الأساس إلى أن معظمهم أو الشريحة العليا القادرة على المشاركة السياسية كانوا من الأجانب. ولكنهم كأفراد لعبوا أدوارا متعددة فى الحياة السياسية والإدارية سواء داخل مجلسى الشيوخ والنواب أو كوزراء أو كموظفين فى القصر(١).

ومن أبرز السمات التى كانت تميز الوضع السياسى لليهود فى مصر منذ عهد محمد على إلى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ تلك الصلات الوثيقة التى كانوا قادرين على خلقها مع جميع الحكام الذين توالوا على مصر، ولذلك تمكن اليهود من الاحتفاظ بجميع امتيازاتهم ولم يفقدوا أيّاً منها فى ظل كل العهود السياسية. ففى الوقت الذى كانوا فيه مرتبطين بحكام مصر وملوكها حرصوا على إقامة علاقات وثيقة مع الحركة الوطنية المصرية وصلت إلى حد المشاركة بإيجابية فى كل أنشطتها. وهنا لابد أن نذكر ليون كاسترو(*) الذى اكتسب ثقة سعد زغلول وكان يتحدث باسم حزب

(1) Fargeon, op. cit. pp. 181 - 182.

(*) ليون كاسترو محام يهودي هاجر من تركيا إلى مصر بعد الحرب العالمية الأولى، وكان من أبرز زعماء الصهيونية في مصر إذ كان يرأس أول فرع للمنظمة الصهيونية في القاهرة وقد أصدر مجلة الصهيونية ١٩١٨ لتكون لسان حال المنظمة وكانت ناطقة باللغة الفرنسية، وقد انضم إلى صفوف الوفد وكان يرأس تحرير صحيفة la liberte لسان حال الوفد. وقد استطاع أن يستثمر وجوده داخل صفوف الحركة الوطنية المصرية واليسار المصري لصالح الحركة الصهيونية منذ العشرينيات وحتى منتصف الأربعينيات.

الوفد فى أوروبا.

وقد رافق سعد زغلول فى مفاوضاته فى لندن وعاد كى يبدأ عن طريق صحيفته الوفدية la liberte حملة عنيفة ضد بريطانيا من أجل الاستقلال.

كذلك يوسف دوبيكوتو الذى كان يعد من أبرز أعضاء الوفد فى الإسكندرية وقد انتخب عضواً فى أول برلمان وفدى ١٩٢٧ .

وقد بلغت مشاركة اليهود فى الحياة العامة ذروتها بتكليف بعض شخصياتها البارزة بمسئوليات رئيسية فى السلطة التنفيذية مثل تعيين أول وزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث وهو يوسف قطاوى باشا الذى شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول ١٩٢٤ ثم عين وزيراً للمواصلات فى حكومة أحمد زيور باشا ١٩٢٥ .

وجدير بالذكر أن قطاوى باشا كان عضواً فى الوفد المصرى الذى سافر إلى لندن لمفاوضة اللورد كروزن ١٩٢٢ وهناك العديد من الشخصيات اليهودية التى برزت فى البرلمان المصرى فى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات منهم يوسف قطاوى وشقيقه رينيه قطاوى والحاخام ناحوم أفندى الذى كانت تربطه علاقات وثيقة مع سعد زغلول والملك فؤاد فى آن واحد.

وقد استثمر ذلك بشكل بارع لخدمة المصالح اليهودية والصهيونية فى مصر، هذا عدا اليهود الذين شغلوا مناصب رئيسية فى الحكومة المصرية وكان منهم المحامون والأطباء والعلماء والكيميائيون[1].

(١) انظر:

Jewish Chronicle 13 - 1 - 1961, 7 - 12 - 56.

- غنيم وأبو كف - مصدر سابق ص ٤١، ٤٢ .

- فتحي الرملي - الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار - القاهرة ١٩٥٦ ص ١٢٨، ١٢٩ .

النشاط الثقافى لليهود
فـى مصـر

لم ينجح اليهود فحسب فى السيطرة على المراكز الرئيسية فى الاقتصاد المصرى فضلاً عن قدراتهم البارعة فى استقطاب اهتمام ورعاية القيادات الوطنية ورؤساء الحكومات ورجال القصر. بل امتد نفوذهم فى محاولات متصلة لاجتذاب عطف ومساندة القيادات الفكرية والثقافية فى مصر.

وقد نجحوا فى تحقيق ذلك إلى حد بعيد. والواقع أن الطائفة اليهودية لم تدخر جهداً فى استثمار كافة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى مصر لصالح أبناء الطائفة فى البداية، ثم لخدمة الحركة الصهيونية من خلال تلك الشبكة المتعددة الخيوط والتى نجحت الطائفة فى توجيهها وإدارة نشاطاتها المختلفة.

وعلاوة على الإطار التعليمى الخاص الذى يؤكد على التراث اليهودى بجوانبه الدينية العنصرية حرص المثقفون اليهود على تأسيس الجمعيات الثقافية لإحياء الثقافة العبرية ودراسة العلوم المتصلة بتاريخ اليهود فى الشرق، وذلك استكمالاً للمخطط الذى يهدف إلى تحقيق العزلة الكاملة وجدانيّاً وفكريّاً لليهود المقيمين بمصر، ومنعهم من الاندماج الحضارى والثقافى فى المجتمع المصرى وذلك بالعمل على تعلم اللغة والتراث الثقافى العبرى.

ومن أبرز المؤسسات الثقافية اليهودية «جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية» التي قام بتأسيسها ١٩٢٥ مجموعة من المثقفين اليهود لدراسة تاريخ اليهود الشرقيين وعلى الأخص دراسة تاريخ الأدب اليهودي في مصر.

وقد تشكلت تحت رئاسة يوسف قطاوى باشا، وقد كان من أبرز أهداف هذه الجمعية إجراء البحوث والدراسات ودراسة المخطوطات التى تتعلق بتاريخ اليهود إلى جانب إعداد قائمة مصنَّفة تضم أعمال ونشاطات الطائفة اليهودية فى مصر مع العمل على إعداد ندوات ومحاضرات شهرية. وقد أقامت هذه الجمعية فى ١٩٥٣ سلسلة احتفالات بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على مولد ابن ميمون ونشرت كتاباً عن أفكاره وتاريخه[١]. وكان من أبرز أعضائها مراد فرج الذى أعد كتاباً باللغة العربية عن الشعراء اليهود العرب، واسرائيل ولفنسون الذى كان يشغل منصب أستاذ السامية بكلية دار العلوم.

ومع تزايد انكشاف العلاقة الوطيدة بين يهود مصر والحركة الصهيونية - الذى تجسد فى مجالات عديدة سيرد فيما بعد - فقد برزت هذه العلاقة فى المجال الثقافى، فى ازدياد الاهتمام بفلسطين من ناحية والعمل على إحياء الثقافة العبرية بجميع الوسائل والأساليب. وفى إطار هذا الاهتمام أنشأ اليهود المثقفون (جمعية أصدقاء الجامعة العبرية فى القدس) ١٩٢٥ وذلك تدعيماً للدور الذى أنشئت من أجله الجامعة العبرية باعتبارها ركيزة ثقافية للحركة الصهيونية فى فلسطين. وفى الفترة الممتدة من ١٩٢٥ - ١٩٣٥ نشطت أوساط المثقفين اليهود فى إنشاء العديد من التجمعات والمؤسسات الثقافية، منها النادى العبرى للدعاية للغة العبرية واتحاد المدارس اليهودية وجمعية هرتزل لتشجيع الثقافة العبرية والعمل على نشرها بين يهود مصر[٢].

وتتجسد خطورة الدور الثقافى الذى قام به المثقفون اليهود فى مصر فى محاولة الالتفاف حول كبار الكتاب والادباء المصريين والتقرب إليهم

(1) Farjdon: Op. Cit. P. 224

(2) Landshust. S: Jewish Communities in the Muslem Countries of the meddil Fast. London 1950. P. 38.

والعمل على اكتساب مودتهم وتعاطفهم وبالتالى ضمان امتناعهم عن كتابة أى شىء يؤدى بشكل أو بآخر إلى كشف النوايا الحقيقية للنشاط الصهيونى الذى كان يحاول التخفى خلف القناع الدينى لليهود المصريين. وقد نجح اليهود بالفعل فى اكتساب ثقة وتعاطف ومشاركة كبار الكتاب والأدباء المصريين مثل طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد ولطفى السيد وغيرهم. وفيما يتعلق بطه حسين فقد تتلمذ عليه كثير من الطلبة اليهود أمثال إسرائيل ولفنسون الذى أعد رسالة الدكتوراه عن (تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام) وقام بالإشراف عليه الدكتور طه حسين وقد ركزت هذه الرسالة على إظهار فضل اليهود على العرب[1]. هذا وقد أحاطت الصحافة اليهودية الدكتور طه حسين باهتمامها الواضح وخصوصاً عندما أعيد إلى الجامعة بعد إقصائه عنها لفترة طويلة ١٩٣٤. وقد قام أحد المثقفين اليهود بترجمة كتاب طه حسين (الأيام) إلى اللغة العبرية. كما قام طه حسين بزيارة مدارس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية فى عام ١٩٤٤ وكان فى استقباله كبار الشخصيات اليهودية وعلى رأسهم الحاخام الأكبر فنتورا. كما أعدوا نشيداً خاصّاً للترحيب به وألقى طه حسين محاضرة فى دار المدارس الإسرائيلية أبرز فيها علاقة اليهود بالأدب العربى. وقد استثمرتها الدوائر اليهودية أفضل استثمار فنشرتها الصحف اليهودية والصهيونية فى صفحاتها الأولى وتعتبرت وثيقة دعائية هامة لليهود. وقد تعرض طه حسين للهجوم بسبب هذه المحاضرة من جانب الصحافة العربية ولكن تصدت الصحف اليهودية بالدفاع عنه[2].

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام. مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ١٩٢٧: نقلا عن رسالة الماجستير غير المنشورة (صحافة اليهود العربية فى مصر) إعداد سهام عبد الرازق كلية الإعلام فبراير ١٩٧٩.

(٢) صحيفة الشمس ٢١ ـ ١٢ ـ ١٩٤٣، ٩ ـ ١٩٤٤ انظر الملحق رقم ٦ (أ).

وقد استكمل المثقفون اليهود نجاحهم فى هذا الصدد بإسناد رئاسة تحرير مجلة الكاتب المصرى إلى طه حسين كما حشد إلى جانبه عدداً كبيراً من الكتاب المصريين. ويجمع معظم المعاصرين لهذه المجلة على أن الهدف من إنشائها كان لضمان إسكات الأقلام والألسن المصرية الممثلة فى القيادات الفكرية والثقافية عن محاولة توجيه اللوم أو الهجوم على اليهود أو إثارة القضية الفلسطينية على صفحات الجرائد المصرية لأن ذلك كان سيجرهم إلى مهاجمة اليهود وكشف أهداف الحركة الصهيونية(١).

كذلك التف اليهود حول أحمد شوقى أمير الشعراء لاكتساب صداقته ولم يدخروا وسعاً فى انتهاز جميع الفرص والمناسبات للتقرب إليه وإظهار تقديرهم له منها اشتراكهم فى المؤتمر العربى الذى أقيم لتكريم شوقى حيث ألقى مراد فرج قصيدة تكريماً له وأرسلت جمعية لأدباء والمؤلفين العبريين ونقابة المعلمين اليهود بالقدس برقية على لسان ،لشاعر اليهودى بياليك للمشاركة فى هذا التكريم. وقد استطاع اليهود أن يجذبوا أيضاً الكاتب المصرى المعروف عباس العقاد مما عرضه إلى اتهام بعض الصحف الوطنية بأن اليهود قد نجحوا فى شراء قلمه(٢).

وفى إطار الاهتمام بالمثقفين المصريين خصصت بعض الصحف اليهودية ذات الاتجاه الصهيونى السافر مثل صحيفة الشمس أبواباً خاصة للتحدث عن الشخصيات المصرية البارزة فى مجال الثقافة والفن والعلوم.

ولا يخفى الهدف المراد تحقيقه من وراء ذلك والذى كان من نتيجته أن وجد اليهود بين الكتاب المصريين من يتعاطف معهم ويقتنع بقضيتهم.

(١) صحافة اليهود العربية فى مصر ـ مصدر سابق ص ٢٦٠.

(٢) مصر الفتاة ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٣٩ العدد ١٨ نظر الملحق رقم ٦ (ب).

النشاط الصهيونى فى مصر

تختلف المصادر التى تناولت تاريخ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر فى تحديد البداية الفعلية للنشاط الصهيونى فى مصر. هناك بعض المصادر التى ترجع بداية هذا النشاط إلى ١٨٩٦ حينما وفد على مصر جوزيف ماركو باروخ حيث شرع على الفور فى تأسيس أول جمعية صهيونية فى القاهرة أطلق عليها اسم جمعية بركوخيا الصهيونية فى مصر وسعت إلى جعل مصر مركز إشعاع للدعاية الصهيونية بالنسبة لليهود الشرقيين. وكانت الجمعية تقوم بدعوة الزائرين اليهود من أنصار الصهيونية لإلقاء المحاضرات وتبادل المعلومات وجمع الأموال. ونجحت جمعية بركوخيا فى إنشاء عدة فروع لها فى بعض المدن المصرية الهامة مثل الإسكندرية وبورسعيد وطنطا والمنصورة، وكانت هذه الفروع تعمل فى استقلال عن المركز الرئيسى بالقاهرة[١]. وهناك من يرى أن بداية النشاط الصهيونى فى مصر ترجع إلى زيارة هرتزل لمصر ١٩٠٤ لبحث مشروع الاستيطان اليهودى مع السلطات المصرية، حيث استقبلته الأسر الرأسمالية اليهودية، وكان ذلك إيذاناً ببدء النشاط الصهيونى الذى تجلى فى تأسيس عدد من يهود الإسكندرية عام ١٩٠٨ لجمعية بنى صهيون التى أعلنت تبنيها لبرنامج مؤتمر بال المنعقد ١٨٩٧. ثم تأسست فى العام التالى جمعية ثانية ضمن بعض اليهود القادمين من روسيا، وعرفت باسم زئير زيون[٢]. ولم تلبث أن اندمجت هاتان الجمعيتان توحيداً للنشاط الصهيونى. وكان النشاط محصوراً فى بداية الأمر فى دائرة ضيقة ثم توسع بانضمام عدد

(1) Raohaei Batai: Encyclopedia Of Zionism and Israel Hertzel Press _ New York 1971. Vol. L.P 278.

(٢) غنيم وأبو كف ـ مصدر سابق ٢٠ ـ ٢٤.

كبير من يهود الإسكندرية. وبدأت تنظم المحاضرات والاجتماعات والاحتفالات التى تدعو إلى تحقيق أهداف المنظمة الصهيونية العالمية. وقد ارتفع عدد أعضاء هذه الجمعية وامتد نشاطها واتسع بسبب تدفق آلاف اللاجئين اليهود القادمين من فلسطين وسوريا بعد صدور قرار الوالى العثمانى بتحريم النشاط الصهيونى فى يناير ١٩١٥. وقد أحسنت الحكومة المصرية وفادتهم ونظمت أساليب مساعدتهم. وتكونت فى معسكر اللاجئين اليهود بالإسكندرية ١٩١٥ نواة الفرقة اليهودية (راكبى البغال) التى خدمت قوات الحلفاء فى العمليات العسكرية فى جاليبولى وقد مرت الفرقة اليهودية على مدينة الإسكندرية فى مارس ١٩١٩ فى طريقها إلى فلسطين فاستقبلها يهود المدينة استقبالاً حافلاً. وقد ساعدت جموع اللاجئين على انتشار الأفكار الصهيونية بين يهود الإسكندرية، كما شجع وجودهم على توحيد النشاط الصهيونى فى مصر، إذ وجدت الجمعيات الصهيونية نفسها مضطرة إلى توحيد جهودها للسهر على راحة اللاجئين وتوفير إقامة ملائمة لهم(١).

وبعد صدور وعد بلفور ١٩١٧ أصبحت الجمعية الصهيونية بالإسكندرية تتلقى التعليمات من المنظمة الصهيونية العالمية مباشرة، ولم يعد دورها مقتصراً على الأنشطة الدعائية، بل شاركت فى تسهيل عمليات الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وقد تكونت إلى جانب هذه الجمعية لجنة عرفت باسم «لجنة مساندة فلسطين» ساهم فى تشكيلها كبار الرأسماليين اليهود فى الإسكندرية. وكان اختصاصها يدور حول كل ما له علاقة بإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين. وقد اتسع النشاط الصهيونى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدرجة ملحوظة فتشكلت منظمات الشبيبة الصهيونية الطلائعية ورابطة نوادى المكابى. وفى ١٩١٨ قام ليون كاسترو بتأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية فى مصر، وقد كان هذا الفرع صورة

(1) Patterson J. H: With the Zionists in gallipoli. London 1927.

مصغرة للمنظمة الصهيونية من حيث النشاط الدعائى والاقتصادى والفكرى. وكانت صحيفة La Revue Sioniste (المجلة الصهيونية) التى أصدرها ليون كاسترو فى نفس العام لسان حال المنظمة الصهيونية وأداة فعالة لنشر الدعوة الصهيونية بين جماهير اليهود المصريين. كما كان فرع الكيرين كايميت (الصندوق القومى لليهود) وسيلة أخرى لجمع التبرعات من اليهود المصريين لشراء أراضى فلسطين. وكان هذا الفرع المصرى على اتصال دائم بالمركز الرئيسى للكيرين كايميت فى لندن. وقد أنشأ الفرع المصرى عدة فروع إقليمية فى الإسكندرية وطنطا والمنصورة. وكانت الجمعية المصرية لأصدقاء الثقافة العبرية وسيلة فعالة لنشر الفكر والثقافة العبرية بين أبناء الطائفة. إذ كانت تقوم بإيفاد بعثات دورية من يهود مصر إلى فلسطين حيث يتلقون دورات دراسية فى الفكر الصهيونى يعودون بعدها إلى مصر وقد أصبحوا كوادر قادرة على نشر هذا الفكر وترويجه[1]. ولم يقتصر نشاط فرع المنظمة الصهيونية على الجوانب السالفة الذكر بل استطاع ليون كاسترو بقدراته واتصالاته تحويل المحافل اليهودية إلى منابر للدعوة الصهيونية. إذ أصبحت هذه المحافل مقراً للاجتماعات والندوات التى تدعو لتأييد الوطن اليهودى فى فلسطين علناً.

وقد انتعشت الدعاية الصهيونية فى مصر إبان الحكم الفاشى فى إيطاليا وألمانيا فى الثلاثينيات، وتحت ستار مقاومة الفاشية تشكلت الهيئات اليهودية ذات الولاء الصهيونى وقامت بدور خطير فى الترويج للفكر الصهيونى من خلال الادعاء بمقاومة الهتلرية، ونجحت فى اجتذاب واهتمام بعض كبار الكتاب والأدباء المصريين مثل طه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهما، حيث منحا الرابطة تأييدهما وتشجيعهما سواء

(1) Landau: Op. Cit, P. 123.

عن غفلة أو إدراك بحقيقة الدور المزدوج الذى كانت تقوم به «رابطة مقاومة الهتلرية» التى كونها اليهود فى ذلك الحين[1].

هذا وقد انعكست الانشقاقات التى حدثت داخل الحركة الصهيونية وأدت إلى استقالة جابوتنسكى وتشكيله لحزب التصحيحيين ١٩٢٥ وما ترتب عليها من تطورات، انعكس كل ذلك على النشاط الصهيونى فى مصر. فقد اختار جابوتنسكى البير ستراسلسكى أحد أعوانه البارزين لتأسيس فرع لحزب التصحيحيين فى مصر. والبير ستراسلسكى يهودى مصرى عمل فى الصحافة الفرنسية التى كانت تصدر فى مصر لعدة سنوات كان خلالها أحد الدعاة المتحمسين للصهيونية، ثم غادر مصر ١٩٢٣ وبعد ست سنوات من العمل لتأسيس فرع لحزب التصحيحيين، وقد نجح فى تجنيد بعض الشباب اليهودى المتحمس لوجهة نظر جابوتنسكى وقد كانوا يعتبرون أن مسايرة المنظمة الصهيونية للسياسة البريطانية فى فلسطين سوف تؤدى إلى خنق الصهيونية[2].

وقد لاقى حزب التصحيحيين فى مصر تشجيعاً ملحوظاً من جانب كبار الرأسماليين اليهود حيث قاموا بتزويده بالأموال والتيسيرات اللازمة. وبدأ الحزب نشاطه بإصدار مجموعة من النشرات الدعائية باللغة الفرنسية، وكانت معظمها تحمل هجوماً على سياسة الدكتور حاييم وايزمان وتحاول استثارة عواطف اليهود المصريين بالتركيز على وجهة نظر الحزب فى كيفية تحقيق مشروع الدولة اليهودية بالاعتماد على القوة الذاتية لليهود وعدم الاستناد إلى مساندة الانتداب البريطانى أو غيره من القوى الدولية، ونجحت السياسة الدعائية للحزب فى التأثير على عدد

(١) صحيفة الشمس ٢١ ـ ٧ ـ ١٩٤٤ العدد ٥٠٠.

(٢) غنيم وأبو كف ـ مصدر سابق ٨٧ نقلاً عن عواطف عبد الرحمن ـ اتجاهات الصحافة المصرية نحو القضية الفلسطينية ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الإعلام ١٨٧٥ ص ٢٣٦.

كبير من اليهود المصريين، وظهر ذلك واضحاً فى انتخابات المؤتمر الصهيونى السابع عشر ١٩٣١ إذ أسفرت عن فوز مرشح التصحيحيين لتمثيل مصر فى المنظمة الصهيونية. وقد أصدر الحزب ١٩٣١ صحيفة أسبوعية عرفت باسم (الصوت اليهودى) وكانت ناطقة باللغة الفرنسية. وقد ظلت تصدر بانتظام كلسان ناطق باسم التصحيحيين حتى عام ١٩٣٣. ومما يجدر ذكره أن حزب التصحيحيين بمصر قد تحول ١٩٣٥ إلى فرع المنظمة الصهيونية الجديدة التى أسسها جابوتنسكى بعد انفصاله عن المنظمة الصهيونية العالمية[١].

والواقع أن الحرب العالمية الثانية قد أتاحت فرصة كبيرة للنشاط الصهيونى فى مصر كى يتسع ويمتد ويصبح أحد التيارات الفكرية العاملة على المسرح السياسى. فقد كانت البلاد تعج بالعديد من جنود جيوش الحلفاء اليهود وخصوصاً المتطوعين الصهيونيين الذين تلقتهم المنظمة الصهيونية فى مصر[٢]. ونظمت لهم الاجتماعات لرسم الخطط من أجل التعاون لخدمة الأهداف الصهيونية، وكان يعقوب وايزمان رئيس فرع المنظمة الصهيونية فى مصر فى ذلك الوقت دينامو دائم الحركة والنشاط، لا يتوقف عن عقد الاجتماعات مع كبار الصهيونيين كى يتبادل معهم الآراء وإعداد النشرات الدعائية للتوزيع على أبناء الطائفة، فضلاً عن جهوده فى جمع الأموال والتبرعات وإرسالها للوكالة اليهودية فى فلسطين. وفى ١٩٤٣ قرر ليون كاسترو إعادة تشكيل فرع المنظمة الصهيونية من جديد تحت اسم الاتحاد الصهيونى، وظلت هذه الهيئة الصهيونية تمارس نشاطها حتى إعلان قيام دولة إسرائيل فوق الأراضى الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨[٣]. هذا وقد تزايد النشاط الصهيونى، بدرجة كبيرة فى نهاية

(١) غنيم وأبو كف ـ مصدر سابق ٨٩ نقلاً عن عواطف عبد الرحمن ـ مصدر سابق ص ٢٣٧.

(٢) عبد القادر ياسين: الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية ـ مجلة شئون فلسطين ـ العدد ٣٦ ـ أغسطس ١٩٧٤ ـ م. أ. ف. بيروت ص ١٠٨.

(٣) محضر نقاش مع البير آربيه ـ القاهرة ٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٧٤.

١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ حيث بدأت الأحزاب والتنظيمات الصهيونية مثل الماباى وهاشومير هاتسعير (الماباى فيما بعد) فى القيام بنشاط واسع وجاد لحث الشباب اليهودى فى مصر على الهجرة إلى الكيبوتزات، وقد سيطر رجال الماباى على المكابى. وكان هناك فرعان للمكابى، مكابى الظاهر وكان فى الأساس ذا نشاط رياضى وقد كان يضم الشريحة الفقيرة من اليهود بالإضافة إلى صغار الموظفين اليهود الذين كانوا يعملون فى الغالب فى المحلات التجارية. أما الفرع الآخر وهو مكابى سنترال الذى كان يوجد مقره بشارع عبد الخالق ثروت فقد كان يمارس نشاطاً ثقافيّاً وكشفيّاً. وقد تخصص فى تكوين الكوادر الصهيونية من خلال المحاضرات والدراسات التى تركزت حول دراسة كلاسيكيات الصهيونية وكتابات هرتزل وبنسكر.

ومما يجدر ذكره أن السلطات المصرية لم تتخذ أى إجراءات للحد أو القضاء على النشاط الصهيونى فى ذلك الوقت، كذلك كانت اجهزة الأمن المصرية (التى كانت فى أيدى الإنجليز كلية فى ذلك الحين) تقدم تسهيلات عديدة للجماعات الصهيونية فى مصر. ولا يمكن أن نتجاهل العلاقات الوثيقة التى كانت تربط الطبقة الحاكمة المصرية مع كبار الراسماليين اليهود، وأبرز مثال على ذلك بنك مصر واتحاد الصناعات المصرى حيث كان اليهود يمثلون قوة اساسية فى داخل هذين الجهازين كما سبق أن اوضحنا.

والواقع أن هذا التصاعد الملحوظ فى النشاط الصهيونى الذى كانت مصر مسرحا له فى الأربعينيات قد ساعد على إفراز نقيضه على الفور... وقد تمثل هذا النقيض فى الدور الذى قامت به مجموعات اليهود اليساريين

(*) نقلاً عن رفعت السعيد - اليسار المصرى والقضية الفلسطينية - بيروت - دار الفارابى - ١٩٧٤ - ص ٢٩٥.

الذين بادروا إلى تكوين (الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية) فى منتصف عام ١٩٤٧. وقد أصدرت هذه الرابطة بياناً مفصلاً[١] أوضحت فيه أهدافها والغرض من قيامها وشرحت موقفها من المشكلة اليهودية والمشكلة الفلسطينية وأوضاع الطائفة اليهودية فى مصر. كما حرصت على إبراز أوجه الخلاف الجذرية بينها وبين الصهيونية وأسباب عدائها للحركة الصهيونية التى ترمى إلى تعقيد المشكلة اليهودية بتحويل العالم العربى المعروف بتسامحه التاريخى مع اليهود إلى أرض خصبة للحركات المعادية لهم، كما أكدت الرابطة على العلاقة بين الحركة الصهيونية والقوى الاستعمارية العالمية التى تريد استخدام اليهود لتأكيد سيطرتها على الشرق الأوسط، وطرحت تصورها للحل الأمثل للمشكلة اليهودية وهو ضرورة سعى اليهود للمشاركة المخلصة فى الحياة القومية للبلاد والدول التى يعيشون فيها. كذلك أشار بيان الرابطة إلى موقفها من المشكلة الفلسطينية إذ كانت ترى أن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين من الاضطهاد والاستعمار هو أن يسعى يهود فلسطين المستقلة الديمقراطية هى الوحيدة التى تستطيع أن تضمن للسكان اليهود حياة حرة ومثمرة، كما أعلنت الرابطة رفضها الحاسم لسياسة الهجرة على أساس أنها سوف تؤدى إلى حرب أهلية فى فلسطين كما أنها تتعارض تماماً مع الأغراض الإنسانية المزعومة التى كانت تعلنها الحركة الصهيونية.

هذا وقد حددت الرابطة الإسرائيلية المناهضة للصهيونية أهدافها على النحو التالى.

١ ـ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب[٢].

(١) بيان الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية ـ القاهرة يونيو ١٩٤٧ مطبعة الشبكشى بالازهر ـ مصر.

(٢) بيان الرابطة ـ مصدر سابق ـ ص ٤.

٢ ـ الربط بين يهود مصر والشعب المصرى فى النضال من أجل الاستقلال والديمقراطية.

٣ ـ العمل على التقريب بين العرب واليهود فى فلسطين.

٤ ـ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين.

واقتصرت الرابطة الإسرائيلية على قبول اليهود فقط كأعضاء عاملين بها لأنها كانت تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل أساساً بين الجماهير اليهودية لضمان وقوفها فى وجه الصهيونية ومحاولة فضح أهدافها والعمل على الحد من تأثيراتها العنصرية. وتختتم الرابطة بيانها التأسيسى بالتأكيد على أن مقياس انتمائها لمصر سوف يتحدد بمدى نجاحها فى كفاحها ضد الصهيونية وفى اجتذاب الجماهير اليهودية إلى صفوف الحركة الوطنية المصرية. والحقيقة أن مجرد تكوين هذه الرابطة قد أثار ذعر العناصر الصهيونية التى ركزت كل جهودها فى العمل على حل هذه الرابطة واستدعاء السلطات المصرية ضدها، وقد نجحت بالفعل فى استصدار قرار من وزير الداخلية بحل لرابطة بحجة المحافظة على الأمن العام[1]. كما قامت السلطات المصرية باعتقال الذين وقعوا بيان الرابطة فى أول مايو ١٩٤٧، ومما يؤخذ على الرابطة أنها حصرت نشاطها فى صفوف اليسار اليهودى ولم تتفتح على جماهير الطائفة اليهودية بمصر.

■■■

(١) الجماهير ٢٣ يونيو ١٩٤٧.